كتاب التوحيد

للإمام المجدد

محمد بن عبد الوهاب

- رحمه الله -

شرح فضيلة الشيخ

رزق بن حامد القرشي

- حفظه الله تعالى -

ahmedbazmool-meerathnabawee.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أمَّا بَعْدُ :

فها نحن في الباب الخامس ، باب : " الدُّعَاءِ إِلى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ " .

وقول الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (108) ﴾(1)

وَعَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لَهُ : (إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابِ ، فَلْيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ – وَفِي رِوَايَةٍ : إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ – فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ اِفْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ اِفْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتَرُدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ) أخرجاه – أي البخاري ومسلم – .

ولهما – أي للبخاري ومسلم – عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ – رضي الله عنه – : أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه و سلم – قَالَ – يَوْمَ خَيْبَرَ – : (" لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ " ، فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا ، فَقَالَ : " أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ؟ " فَقِيلَ : هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ ، قال : " فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ " ، فَأُتِيَ بِهِ ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ ، وَدَعَا لَهُ ، فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ ، وَقَالَ : " اُنْفُذْ عَلَى

---

[1]) سورة يوسف (الآية : 108).

رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ، ثُمَّ ٱدْعُهُمْ إِلِى ٱلْإِسْلَامِ ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ تَعَالَى فِيهِ ، فَوَ اللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمُرِ النِّعَمِ ") .

في هذا الباب أورد المؤلف – رحمه الله – هذه الآية وأردفها بحديثين ، وهذا هو الطريق الصحيح للدعوة إلى الله – عز وجل – الدعوة إلى شهادة أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ تحتاج إلى هذا الطريق الذي رسمه النبي – صلى الله عليه وآله سلم – وقام به أصحابه – رضي الله عنهم وأرضاهم –.

ولذلك الدَّاعي إلى الله – عز وجل – يحمل وظيفة الأنبياء في الدعوة إلى الله – عز وجل – فلا بُدَّ وليس له بُدٌّ من أن يَمْتَثِلَ طريقة النبي – صلى الله عليه وآله سلم – في دعوته ، ولا يبتدع طريقة أو يَخْتَطَّ خطًّا في الدعوة إلى الله – عز وجل – غير ما جاء به النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – ؛ لأن دعوة النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – قائمةٌ بالوحي من الله – عز وجل – .

ولذلك النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – هو المُبلِّغ عن الله – عز وجل – لهذه الأمة ، وهو الذي رسم لأهل العلم وللدعاة كيف يدعون إلى الله – عز وجل – ، فما من دعوةٍ خالفت هدي النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – فأفلحت أبدًا ، وإنْ رأى الناس كثرة من حول هذه الدعوة ؛ وإنما هم غثاء كغُثاء السَّيل ، أمَّا من امتثل دعوة النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – وطريقة النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – فهنا مَكْمَنُ البركة وهنا البقاء للدعوة إلى أن تقوم الساعة .

فلذلك لا يَغُرنَّك كثرة المطبِّلين ولا يَغُرنَّك كثرة الناس والأعداد ، وإنما تنظر للجوهر الحقيقي للدعوة .

– هل هي على الكتاب والسنة وعلى ما جاء به النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – وعلى طريقته ؟

فإن كانت كذلك فحمدًا لله على سداده وتوفيقه ، وإن لم تكن كذلك فلا تلومنَّ إلَّا نفسك أخي الدَّاعي .

ففي هذه الآية المباركة قول الحقِّ – تبارك وتعالى – : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ﴾(2)

ومعنى سبيلي: ﴿ سَبِيلِي ﴾ : أي طريقي وسنتي .

---

[2]) سورة يوسف [الآية : 108] .

﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ : أي على ديانة .

﴿ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ﴾ : إلى دينه ودار كرامته .

ومعنى قوله : ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ : أي على علمٍ وبرهانٍ شرعي وعقلي ، أي على علمٍ وبرهان شرعي وعقلي ، لا على الهواء والاستحسان ؛ وإنما على العلم من الكتاب والسنَّة وعلى برهانٍ شرعي بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنَّة وعلى دليلٍ عقلي صحيح يوافق الكتاب والسنَّة .

وقوله : ﴿ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ : أي اِقتدى بي ، معنى ﴿ اتَّبَعَنِي ﴾ : أي اِقتدى بي .

ومعنى قوله : ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ ﴾ : أي أنزه الله وأعظمه من أن يكون له شريكٌ أو نَدِيد.

ذكر ابن القيم – رحمه الله – في التفسير القيّم : " أن مراتب الدعوة ثلاثة أقسام ، بحسب حال المدعو :

– فإنه إمَّا أن يكون طالبًا للحق محبًّا له مؤثرًا له على غيره إذا عرفه ؛ فهذا يُدعى بالحكمة ولا يحتاج إلى موعظة وجدال .

– وإمَّا أن يكون مشغولًا بضدِ الحق لكن لو عرفه آثره واتبعه ؛ فهذا يحتاج إلى الموعظة والترغيب والترهيب .

– وإمَّا أن يكون معاندًا معارضًا ؛ فهذا يُجادَل بالتي هي أحسن ، فإن رجع وإلَّا انتُقِل معه إلى الجدال إن أمكن ذلك وإلَّا انتُقِل إلى الجدال إن أمكنَ ذلك . "

قال الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم : " لا بد في الدعوة إلى الله من شرطين :

– أولًا : أن تكون خالصة لوجه الله –وهذا هو التوحيد ؛ الإخلاص لله ، لأن الدعوة عبادة إلى الله ، بل إن الدعوة من أجَلِّ العبادات فلا بد من الإخلاص فيها لله – عز وجل – – .

– ثانيًا : أن تكون على وفق سنَّة النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – ، أن تكون على وفق سنَّة النبي – صلى الله عليه وسلم – ، فإن أخلَّ الدَّاعي بالشرط الأول كان مشركًا – إن أخلَّ بالإخلاص لله – عز وجل – وأراد بدعوته حطام الدنيا والمدح وغير ذلك فهذا من الشرك – نسأل الله العافية والسلامة – – ، وإن أخلَّ بالثاني – أي بالاتباع للنبي – صلى الله عليه وسلم – في دعوته – كان مبتدعًا ..

كما أنه ينبغي لمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر أن يكون فقيها فيما يأمر به ، فقيها فيما ينهى عنه ، رفيقا فيما يأمر به، رفيقا فيما ينهى عنه . ".(3)

– وفي هذه الآية فوائد :

– منها : وجوب الإخلاص في الدعوة إلى الله ، وهذا كما أسلفنا الإخلاص هو التوحيد ، هو توحيد الله – عز وجل – أن تخلص له في العبادة ، وفي الدعوة إليه – سبحانه وتعالى – .

الثاني : يجب أن تكون الدعوة إلى الله قائمة على الحجَّة والبرهان ، والحجَّة والبرهان أين تكون ؟

في كتاب الله وسنة النبي – صلى الله عليه وسلم – ، وما كان عليه سلف هذه الأمة .

– ومنها أيضًا من الفوائد : وجوب البراءة من الشرك وأهله ، كما قال الله – عز وجل – في الآية : ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (4) ؛ براءة من الشرك وأهله .

– ومنها أيضًا : لا يصح العمل إلا موافقًا لما جاء به الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – ، فلو اختلف الطريق في الدعوة عن طريق النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – فهي لا تقبل دعوته ، بل ولا يُوفَّق في دعوته .

وهذا هو معنى قول العلماء : " أنه لا بد في العبادة من شرطين : الإخلاص والمتابعة " ، وهنا أيضا أنبه على أمر ، وهو أن هذين الشرطين ، أن هذين الشرطين إذا ذهب أحدهما ذهب معه الاخر ، وإذا اجتمعا ؛ اجتمع الإخلاص والمتابعة كان الخير كله هنا .

– ومن الفوائد أيضًا في الآية : وجوب تنزيه الله عمَّا لا يليق بجلاله ، في معنى : ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (5)

فمعنى ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ ﴾ : أي تنزيه الله – عز وجل – عمَّا لا يليق بجلاله – سبحانه وتعالى – .

---

[3]) حاشية كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن قاسم ص 55 .
[4]) سورة يوسف [الآية : 108] .
[5]) سورة يوسف [الآية : 108] .

وفي حديث بن عباس – رضي الله عنهما – الذي سُقناه أيضًا ، لَمَّا أرسل النبي – صلى الله عليه وسلم – معاذ بن جبل واليا إلى اليمن أرشده إلى ما يجب أن يعمل به ابتدأ ذلك بالدعوة إلى توحيد الله ؛ وهذا هو أساس الدعوة أن تبدأ الدعوة بالتوحيد .

– لماذا ؟

لأن التوحيد هو القاعدة الأساسية التي تُبنَى عليها جميع العبادات ، فالصلاة والصيام والزكاة والحج والصدقة وبر الوالدين والأعمال التي يتقرب بها العبد إلى الله جميعها كبيرها وصغيرها دِقها وجليلها لا بد أن يكون الأساس فيها توحيد الله – عز وجل – .

فكم من الناس الذين يعملون وترى أنهم يعملون ويجتهدون ويدفعون الأموال ويفعلون ويفعلون من أوجه الخير ، وهم يريدون بذلك ألسنة الناس ، وهم يريدون بذلك مديح الناس ، فهذا لا ينفع في دين الله – عز وجل – أبدا ! إنما النافع هو ما كان لله – عز وجل – خالص .

فإن استجابوا لذلك فإن عليه أن يخبرهم بأَوْجَب الواجبات بعد التوحيد وهما : الصلاة والزكاة فإن امتثلوا أمره فإن عليه أن يراعي فيهم جانب العدل ؛ ولذلك جاء في آخر الحديث : (وإيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِم) ؛ وهذا يدل على عدل في الدعوة إلى الله ، على عدل في إقامة الشريعة ، العدل في إقامة الشريعة لا الظلم ولا الجور ولا الحيف ولا الغبن في هذه الدعوة أبدا ؛ وإنما هي قائمة على العدل المحض .

ومن هنا في هذا الحديث نستدل أيضًا : على أن الدعوة لا بد أن تكون مُرتَّبَة ، على أن الدعوة إلى الله لا بد أن تكون مُرتَّبَة ؛ فلا يبدأ الإنسان حين أن يرى أُناس على الكفر والضلال فيأتي يأمر بالصلاة مثلًا ، أو يأتي يأمر بالزكاة ، أو يأتي يأمر بالصيام ، أو يأتي ويأمر بالحج ويترك أعظم أمر وهو أن يوحدوا الله – عز وجل – ويشهدوا أن لا إله إلا الله ، إذا أنهم لو صلوا وصاموا وزكوا وحجوا ولم يشهدوا أن لا إله إلا الله ويخلصوا العمل لله – عز وجل – ويتبعوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما نفعهم ذلك ، فلا بد أن يأخذ الترتيب في الدعوة إلى الله بحسب المَدعُوِّين .

وأيضًا إذا جئت لقوم أهل توحيد يوحدون الله – عز وجل – وأهل معرفة بلا إله إلا الله محمد رسول الله ، وهم عندهم تقصير في بعض الجوانب فتترك التقصير في هذه الجوانب ثم تذهب إلى تعليمهم ما هم يعلمونه ؛ هذا ليس من الترتيب .

فلذلك هذه الدعوة قائمة أيضًا على الفقه في حال الدَّاعي و في حال المدعو ؛ قائمة على الفقه ، وعلى الترتيب ، و النظام النبوي .

فلذلك يعتبر هذا الحديث تنظيمًا لدعوة الناس ، وترتيبًا لدعوة الناس .

– وفي هذا الحديث فوائد :

– منها : أول ما يبتدئ به الداعية ؛ توحيدُ الله تعالى .

– ومنها : التدرج في الدعوة والبداءة بالأهم فالأهم .

– ومنها : فرضية الصلوات الخمس ، فرضية الصلوات الخمس .

– ومنها : أن صلاة الوتر ليست بواجبة ، ومنها أن صلاة الوتر ليست بواجبة .

– ومنها : فريضة الزكاة ؛ ولذلك عبَّر عنها
بماذا ؟
عبَّر عنها بالصدقة ، ومعنى الصدقة في هذا الحديث : أي الزكاة ؛ والزكاة تشمل أمرين :
زكاة أموال ، وزكاة أبدان ؛ زكاة أموال ، وزكاة أبدان وهي تسمى : بزكاة الفطر ، فكل هذه – يعني – يُطلَق عليها في الجملة " صدقة ".

– ومنها أيضًا : أن الزكاة لا تُدفع للكافر ، والدليل : (تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ)(6) ؛ والمعنى عائد لفقراء المسلمين ، والمعنى : (عَلَى فُقَرَائِهِمْ) : أي إلى فقراء المسلمين ، أمَّا الكافر فلهُ بابٌ آخر ، وهو : حين أن يُرادَ أن يُدعى فيُعطى من الزكاة حين أن يُراد أن يُدعى .

– ومنها : أن الفقراء من أهل الزكاة ، أن الفقراء من أهل الزكاة .

– ومنها أيضًا : جواز دفع الزكاة كُلِها لصنف واحد من الأصناف الثمانية ولذلك هذا فقه .

لمـــــاذا ؟

إذا دُفعت الزكاة لواحد فمـــــــاذا يكون عنده؟ يُصبح مِمَّن ؟

---

[6]) مُتَّفَقٌ عليه : أخرجه البخاريُّ في « الزكاة » بابُ وجوبِ الزكاة (١٣٩٥) ، ومسلمٌ في « الإيمان » (١٩) ، مِنْ حديثِ ابنِ عبَّاسٍ - رضي الله عنهما - .

من الأغنياء يُتاجر بهذه الزكاة ، فيأتي العام الذي بعده وإذا به هو أيضًا يتصدق ، أمَّا إذا كنت تفعل ما يفعله بعض الناس من جهلهم بفقه الزكاة ؛ ثم تأخذ الزكاة وتقطعها على دراهم قليلة لا تُسمن ولا تغني من جوع ؛ بل إن بعضهم لا يستطيع لا تكفيه صرفًا في يوم خُروج الزكاة ؛ فهذا الفقه خطأ ! ولذلك أُنظر قال : " جواز دفع الزكاة كلها لصنفٍ واحدٍ من الأصناف الثمانية " .

– ومنها أيضًا : لا يجوز إخراج الزكاة من بلدها إلَّا إذا عُدِم الفقراء فيها ؛ أينما يكون الغني في بلدٍ من البلدان أخرج زكاته على أهل البلد الذي يعيشُ فيه .

– ومنها أيضًا : لا يجوز دفعُ الزكاة للأغنياء ، ومنها أيضًا : لا يجوز دفع الزكاة للأغنياء إلَّا في حال واحد : وهو أن يكون هذا الغني من الأصناف الثمانية ؛ وهو المسمى " بعابر السبيل " قد يكون في بلده غني ولكن انقطعت به السبل ، فيُدفع له من الزكاة حتى يبلغ بذلك بلده .

– ومنها أيضًا : تحريم أخذ الزكاة من خيار الأموال ؛ وإنما يؤخذ من الوسط وهذا معنى العدل في هذا الحديث ، فهذا معنا العدل في هذا الحديث ؛ ألاَّ تأخذ من كرائم الأموال ؛ أي أحسنه وأعلاه مرتبة ، ولا أن تأخذ من الرديء ، وإنما تؤخذ من الوسط .

– ومنها : تحريم الظلم بجميع أنواعه ، والظلم كما جاء في بعض الآثار :
" الظلم ظلمات يوم القيامة " ، (فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ)(7) ، المظلوم حين أن يقع عليه الظلم وهو لا يستطيع دفعه عن نفسه ثم يلتجئ إلى الله – عز وجل – بدعوةٍ صادقةٍ هذه حالقة للظالم – نسأل الله العافية والسلامة – ؛ فلذلك قال :
(اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ) .

وهذه أيضًا من الآداب النبوية والتربية للناس أن يبتعدوا عن ظلم الآخرين وأن ينتشر بينهم الألفة والعطف والرفق ، ولذلك جاء في بعض الأحاديث : (أُنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا ، فَكَيفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟ قَالَ : تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ ؛ فَذَلِكَ نَصْرٌ لَهُ) . (8)

---

[7]) [مسلم (١٩) ، البخاري (١٣٩٥)] .
[8]) الراوي : [أنس بن مالك] المحدث :الألباني المصدر :غاية المرام الجزء أو الصفحة:306 حكم المحدث: صحيح

تمنعه من الظلم ؛ فلذلك شوف النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – يقول : (فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ) ؛ فهذا دليل على أن سلب الأموال بغير حقٍّ ظلم للناس حتى ولو كانت زكاة ، حتى ولو كانت من المفروضة عليهم بغير حقٍّ ظلم للناس ، قال : (فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ).

قال : ولهما عن سهل بن سعيد – رضي الله عنه – قال : أن – رسول الله صلى الله عليه وسلم – قال يوم خيبر : (لَأُعْطَيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ...) الحديث بطوله كما ذكرناه رواه البخاري ومسلم .

وفي هذا الحديث أيضًا يخبرنا سهل بن سعد – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – في غزوة خيبر وعد بأن يدفع العَلَم – والراية يعني العلم – إلى رجل يحبُّ الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله .

- فظلَّ النَّاس في تلك الليلة يخمّنون ويتكلمون من يُعطاها ؟ من هو ذلك الرّجل ؟

ولَمَّا جاء الصباح ذهب النّاس مُبكِّرين ، وكلٌّ منهم يُؤَمِّل أن يحُوز هذا الشرف العظيم ؛ وهذا يدل على تنافس الصحابة في الخير ، وفي الجهاد في سبيل الله ، فسأل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن عليّ فأُخبِر أنه مرمود – والرمد : هو وجع العين ، والرمد : هو وجع العين – فطلب مجيئه ، فجِيء به فتفل في عينيه فشُفِيتا في الحال ، ثم سلَّمه الراية ؛ وهذه من خصائص النبي – صلى الله عليه وسلم – ؛ إذا دعا لأحد أو تفل على جُرح أحد فإنه يُشفى في الحال .

ولذلك فُهِمت عند أهل التصوف هذه الكرامات غير فهمها الحقيقي ؛ فذهب بعضهم إلى أن يجعلها في الأولياء والصالحين ، وليسوا بأولياء ولا صالحين أولئك الذين تَعدُّوا على كرامات النبيّ – صلى الله عليه وسلم – وأرادوا أن يتشبّهوا بالنبي – صلى الله عليه وآله وسلم – في هذا الباب وليس لهم ذلك ، وتركوا التشبه بالنبيّ – صلى الله عليه وسلم – في عقيدته وعبادته وأخلاقه ومعاملته ، فذهبوا إلى هذه .

– لماذا ؟

لأن هذه من ورائها مصالح مادية ؛ الوليّ فلان اِدفع له وهو سيدعو لك ، الوليّ فلان اِدفع له وهو سيتفل في وجهك .

ما هذا ؟!!

حُرِّفَت هذه المسألة إلى غير طريقها الشرعي .

وأمره بأن يسير على مهله ورِفقه ، فإذا نزل قريبًا من القوم فإن عليه أن يبدأهم بالدعوة إلى الإسلام ؛ هذا هو طريق الجهاد الصحيح ، هذا هو طريق الدعوة الصحيحة ، فإن استجابوا له فإن عليه أن يُفقِّهَهُم بما يجب عليهم .

ثم أقسم الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – لِعَليّ مرغبًا له في الخير ، مبينًا له أن ثواب إرشاده لشخصٍ خير من امتلاك الإبل الحمر – الإبل الحمر : هذه من الأموال التي كانت – يعني – مشهورة على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – ، الذي عنده الإبل الكثيرة فهذا يعتبر من أغنى الأغنياء .

فلذلك لو يُسْلِم واحد على التوحيد فهو خيرٌ له من هذه النِّعم التي يملكها هؤلاء الأغنياء ، فيدلُّ ذلك أن هذه الدعوة دعوةٌ كريمة ودعوةٌ شريفة ومقامها عالٍ جدًّا ، فلا بد للإنسان أن يتمثل هذا الهدي النبوي في دعوته وفي عقيدته وفي أخلاقه وفي معاملته وفي عبادته ، يَتَمثَّل هدي النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – فهو الذي لا بد أن يكون ، ولذلك الداعية لا بد أن يتعلم هذا التَّعلم ، فلذلك في الحديث : (العِلْمُ بالتَّعلُّمِ ، والحِلْمُ بالتَّحلُّمِ)([9] ، ويقول النبي – صلى الله عليه وسلم – لأحد الصحابة : (إنَّ فيك خَصلتيْنِ يُحبُّهُما اللهُ ؛ الحِلمُ والأَناةُ)([10] فلذلك الحليم يصبر على الأذى في سبيل دعوته ، والمتأنِّي لا يقع في الأمر لأنه يتأنى ويأخذ الأمور عن طريق العلم الشرعي وعن طريق السنة النبوية ولا يستعجل ، فإن في العجلة الزلل ، وفي التأنِّي السلامة .

- **وفي هذا الحديث فوائد نختم بها هذا الدرس :**

[9]) عن أبي الدَّرداءِ قال : العِلمُ بالتَّعلُّمِ ، والحِلمُ بالتَّحَلُّمِ ، ومن يتَحَرَّ الخيرَ يُعطَه ، ومن يَتَوَقَّ الشرَّ يُوَقَّه .
الراوي : رجاء بن حيوة | المحدث : الألباني | المصدر : العلم لأبي خيثمة
[10]) قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لأشَجِّ عبدِ القيسِ: "إنَّ فيك خَصلتيْنِ يُحبُّهُما اللهُ: الحِلمُ والأَناةُ، قال يا رسولَ اللهِ: أنا أتخلَّقُ بهما أمِ اللهُ جَبَلَني عليهما؟ قال: بلِ اللهُ جَبَلَك عليهما، قال: الحمدُ للهِ الذي جَبَلَني على خَلَّتيْنِ يُحبُّهُما اللهُ ورسولُهُ.
الراوي : عبد الله بن عباس | المحدث : شعيب الأرناؤوط | المصدر : تخريج رياض الصالحين

- منها : بيان فضل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - والرد على النواصب الذين ناصبوه العَدَاء ، وأيضًا فيه رد على أولئك الكذبة من المتشيعة الذين تشيعوا لهم وهم خالفوا طريقته وهديه .

- ومنها أيضًا : إثبات صفة المحبة لله - عز وجل - وقد تقدم معنا في الدروس الماضية عقيدة أهل السنة والجماعة في صفات الله - عز وجل - .

- ومنها : بيان معجزة للنبي - صلى الله عليه وسلم - وهي لَمَّا تفل في عينيّ علي - رضي الله عنه - فشُفِيَا حالًا .

- ومنها أيضًا : حرص الصحابة على الخير ، فهذا لابد أن نقتدي بالصحابة في حرصهم على الخير والدعوة إلى الله - عز وجل - وفضيلة العلم .

- ومنها أيضًا : سؤال الإمام عن رعيته وتفقده لأحوالهم ، فلذلك الداعية لا بد أن يتمثل هذا ، يسأل عن طلابه ، يسأل عن جيرانه ، يسأل عن أقاربه ، يسأل عن الناس ، ويتقرب بذلك إلى الله - عز وجل - .

- ومنها : وجوب الإيمان بالقضاء والقدر حيث حصَّل الرايةَ من لم يسعَ لها ، والله - عز وجل - أعلم بالمُخلِص ؛ فلذلك من أخلص لله - عز وجل - جاءه الخير من غير تعب .

- ومنها : على القائد أن يلتزم الأدب والرفق في غير ضعف ، على القائد الذي يقود المسلمين أن يلتزم الأدب والرفق من غير ضعف ؛ لا يكن ضعيفًا ويأتي أهل الشر ويمررون عليه شرهم ؛ لأن أهل الشر لهم أساليب يمدحون ويمدحون ويفعلون ويا فلان ويا شيخنا ويا حبيبنا ويا أهل الخير ووو إلى غير ذلك إلى أن يصلوا إلى مبتغاهم من الشر - والعياذ بالله - .

- ومنها : وجوب البداءة بالدعوة إلى الإسلام قبل القتال لمن لم تبلغه الدعوة ، أمَّا من بلغته الدعوة فيُستحَب تبليغه وإنذاره قبل القتال ؛ وهذا من التدرج في الدعوة وطريقة الدعوة إلى الله - عز وجل - حتى حين أن يكون الجهاد تحت ظلال السيوف ، ومع ذلك النبي - صلى الله عليه و آله وسلم - : " افعلوا كذا ! ولا تفعلوا كذا ! ابدؤوا بكذا ! ولا تبدؤوا بكذا ! " .. وهكذا .

– ومنها : لا يكفي في العصمة الشهادتان دون العمل ، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة ؛ نعم العقيدة قولٌ وعمل واعتقاد ، ليس العقيدة فقط قولٌ واعتقاد فقط ، وإنما لا بد من العمل ، فإن العقيدة الصحيحة والاعتقاد الجازم في القلب هو الذي يقود الإنسان إلى العمل الصحيح .

– ومنها : جواز الحلف على للفُتيا للتأكيد ، بعض الناس قد ترى منه أنه لا يمكن أن يصدِّقك أو يصدق عالم حتى يحلف له ، فإن – يعني – استوجب الأمر أن تحلف لمن تفتيه أو تعلمه علمًا ؛ فلابأس بذلك .

– ومنها أيضًا : فضل الدعوة إلى الله والتَّعليم ، وهذا هو مقام الأنبياء ووظيفة الأنبياء ؛ الدعوة إلى الله وتعليم الناس هذا الدين الذي جاء به النبي – صلى الله عليه و آله وسلم – .

نسأل الله – عز وجل – أن يوفقنا وإياكم لهدي النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – وأن يثبتنا وإياكم على التوحيد حتى نلقى الله – عز وجل – إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .